Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أغلى فأكرم عن نداه يدي فَعَلَتْ ونَزَّهَ قدرُه قدري
ورزقتُ من جدواه عارفة ألَّا يضيق بشكره صدري

(٨٨ ـ ٤١٥)

قصيدة ابن العلاف (بين القرنين التاسع والعاشر والشهيرة إذ ذاك» حول موت قط») بنيت على المفارقة بين «الجنس الشعري الرفيع» الرثاء والمفردات «الرفيعة» من جهة والمادة «الوضيعة» للبكائيات. لقد قوي التأثير الساخر لهذه القصيدة بسبب معرفة معاصري الشاعر الجيدة أن هذه القصيدة في الواقع موجهة إلى ابن المعتز الذي كان يريد وهو في السابعة والأربعين من عمره أن يكون خليفة والذي قتل بعد بضعة أيام (١٢٤ ـ II، ٣٢٠).

بداية هذه القصيدة لا تختلف بشيء عن البكائيات العادية، وإذا وضع في مكان كلمة قط اسم أي كان فإن هذا الرثاء يمكن أن يوجه إلى أي كان.

وتحاط القصيدة تدريجياً ببعض الشخصيات المعينة الذين راحوا يحددون «بطلها». ومن ناحية أخرى أخذ التوتر الأسلوبي يتصاعد بفضل استخدام الصور المتوازية والأفعال وأسماء الفاعل المتماثلة والطباق والجناس.

نرى هنا طريقة عادية جداً للهجاء، وهي استخدام التناقض بين المادة «الوضيعة» الموصوفة (القط سارق الحمام) والمفردات «الرفيعة»، التناقض الذي يتقوى بتناوب الصور المتناقضة وهو تناوب معتادة بالنسبة لقصائد المدح والرثاء (مرتعداً ـ غير مرتعد، متئداً ـ غير متئد، غي ـ رشد... الخ).